الميغالوبوليس الأمريكيّة

المقدّمة

تعدّ الميغالوبوليس الأمريكيّة القلب النابض للاقتصاد الأمريكي وأحد مراكز دفع الاقتصاد العالمي نظرا لما تملكه من رموز القوّة الاقتصاديّة والنفوذ الوطني والعالمي التي ضمنها تضافر عوامل جدّ مساعدة.

I- الميغالوبوليس الأمريكيّة : إقليم حضريّ كثيف

بلغت الميغالوبوليس الأمريكيّة درجة من التركّز الحضريّ والتخصّص الوظيفي جعلتها النموذج المرجع لظاهرة الحوضرة في العالم رغم تشكّل ميغالوبوليس يابانيّة وأخرى أوروبيّة.

1- أعرق مجرّة حضريّة في العالم

اكتملت خصوصيّة الميغالوبوليس الأمريكيّة مع بداية ستّينات القرن العشرين لمّا أضحت مجرّة حضريّة تشغل جزءا كبيرا من إقليم الشمال الشرقي الأمريكيّ وتمتدّ في شكل شارع حضريّ على طول 750 كم من بسطن في الشمال إلى واشنطن في الجنوب، وعلى عرض يتراوح بين 100 و 200 كم من ساحل المحيط الأطلنطي إلى السفح الشرقيّ لجبال الأبلاش. ويتركّز ضمن هذا المجال الذي لا يمثّل سوى 2 % من مساحة الولايات المتّحدة الأمريكيّة 50 مليون ساكن أي نسبة 16 % من سكّان البلاد [1].

وعلاوة عن هذا التركّز الذي تجسّده كثافات سكّانيّة يصل معدّلها إلى 2400 ساكن في الكم^2 وترتفع في بعض المناطق إلى أكثر من 10000 ساكن في الكم^2، فإنّ السمة المميّزة للميغالوبوليس تنبني أساسا على الطابع الحضريّ الغالب على مجالها إذ تبلغ نسبة التحضّر 90% سنة 2005. فرغم احتفاظ بعض المناطق بمشاهد طبيعيّة وريفيّة فإنّ تدرّج جلّ المدن إلى الالتحام وتميّز سكّان هذه المناطق بنمط عيش واستهلاك حضريّين وشدّة ارتباطهم بالمدن كأقطاب تشغيل واستهلاك، يضفيان على الميغالوبوليس بأكملها طابعا حضريّا مميّزا ويجعلان منها نموذج التحضّر الأكثر اكتمالا في البلدان المتقدّمة.

2- إقليم تهيكله شبكة كثيفة ومتراتبة من المدن

أفضت حركة التحضّر الكثيف التي عرفتها الميغالوبوليس إلى تشكّل شبكة حضريّة من أكثر الشبكات انتظاما وتراتبا في العالم تهيكلها عدّة مدن تنتظم ضمن 23 منطقة حاضريّة ضخمة تتكوّن من أربعة مستويات [2] :

- منطقة نيويورك الحاضريّة وهي ثاني أكبر مدن العالم بما يُقارب 19 مليون ساكن أي ما يمثّل حوالي 6 % من سكّان الولايات المتحّدة الأمريكيّة.
- ثلاث مناطق حاضريّة كبيرة جدّا يتراوح عدد سكّان الواحدة منها بين 2,5 و5 ملايين ساكن وهي حواضر واشنطن وبلتيمور وفيلادلفيا.
- خمس مناطق حاضريّة كبيرة مثل بروفيدانس وهاردفورد يتراوح عدد سكّان الواحدة منها بين مليون ومليوني ساكن.
- مجموعة تتكون من 14 منطقة حاضريّة متوسّطة الحجم تعدّ الواحدة منها بين 500 ألف ومليون ساكن لم تنصهر بعد ضمن المناطق الحاضريّة الكبرى المجاورة. وتسجّل أغلب هذه الحواضر نسق نموّ عال بفضل استقطابها للهجرة الوافدة من الخارج، أو نظرا لموقعها على جبهة التحضّر، التي ما فتئت تقترب من مدينة ريشموند جنوبيّ واشنطن [2].

ويستند اقتصاد هذه الحواضر أساسا إلى القطاع الخدمي الّذي يوفّر 83 % من الشغل غير الفلاحيّ وخصوصا الخدمات العالية وهو ما يجعل منها نموذجا لما تشهده الولايات المتّحدة من تدرّج نحو المجتمع ما بعد صناعيّ. وتشكّل هذه المناطق الحاضريّة شارعا حضريّا يتميّز بدرجتي ترابط ونفاذيّة عاليتين تيسّران تحرّكيّة السكّان وتضمنان نجاعة الأنشطة الاقتصاديّة.

ترافق التركّز السكّاني بتركّز مماثل للأنشطة الاقتصاديّة ولوظائف التسيير في الميغالوبوليس وهو ما جعلها إقليما مؤثّرا قطريّا وعالميّا.

II -إقليم مؤثّر قطريًا وعالميًا

تمتلك الميغالوبوليس من القوّة الإنتاجيّة ومن رموز النفوذ ما أهّلها للبروز كإقليم مركزيّ ضمن المجال الأمريكيّ وكأوّل مركز محرّك للاقتصاد العالمي.

1 – مركز الولايات المتّحدة ورمز قوّتها

تعدّ الميغالوبوليس القلب النابض للاقتصاد الأمريكي إذ توفّر خمس الناتج الداخلي الخام الأمريكي رغم كونها لا تمثّل سوى 2 % من مساحة البلاد و16 % من سكانها وهو ما يعكس قوّة إنتاجها وقيمته المضافة العالية [3]. وتتولّى هذه المكانة في الاقتصاد الأمريكي من إسهام الميغالوبوليس بنسبة 12 % في القيمة المضافة الصناعيّة وصادرات المنتجات المعمليّة سنة 2005. على أنّ الركيزة الأساسيّة للقوّة الإنتاجيّة تكمن في أهميّة القطاع الثالث الذي يضمن للميغالوبوليس الإسهام بنسب كبيرة في إجمالي النشيطين بالبلاد في فروع الخدمات الماليّة– النقديّة وخدمات الاستشارة والنقل والإعلام والاتصال المساة للمؤسّسات والخدمات الموجّهة للأفراد [4]. وتتركّز هذه القوّة الإنتاجيّة في المناطق الحاضريّة الكبرى ولا سيما نيويورك بناتج داخليّ خام يقارب ما تحققه كندا ثامن قوّة اقتصاديّة في العالم [5].

وتقترن هذه القوّة الإنتاجيّة بدرجة تحكّم عالية في اقتصاد الولايات المتّحدة إذ تأوي حواضر الميغالوبوليس المقرّات الاجتماعيّة لثلث الشركات 250 الأولى في الولايات المتّحدة الأمريكيّة [3]. وتبرز مدينة نيويورك كعاصمة اقتصاديّة للبلاد ومركز تسيير اقتصاديّ وطنيّ مهيمن بفضل ما يأويه إقليم أعمالها المركزي [6] من مقرّات اجتماعيّة لأكبر الشركات عبر القطريّة الأمريكيّة وحتّى الأجنبيّة واستئثار بورصتها بنسبة 85 % من إجمالي الرسملة بالبورصة بالولايات المتّحدة [5]. وعلاوة عن ذلك تحتضن الميغالوبوليس العاصمة الفدراليّة للبلاد واشنطن مقرّ القرار السياسيّ الذي يشمل نفوذه كامل التراب الأمريكيّ [7].

تقترن مكانة الميغالوبوليس كإقليم مركزيّ ضمن المجال الأمريكيّ بنفوذ عالميّ متعدّد الأوجه أهّلها لتكون أحد أهمّ المراكز المتحكّمة في المجال العالمي.

2– أبرز المراكز المحرّكة للمجال العالمي

تمارس الميغالوبوليس نفوذا سياسيّا عالميّا بواسطة حاضرتين هما نيويورك وواشنطن اللّتان تحتضنان عدّة منظّمات دوليّة مؤثرة في اقتصاد العالم وفي اشتغال المجال العالمي [6 و7]. فمدينة نيويورك تحتضن منذ سنة 1951 مقرّ منظمة الأمم المتّحدة وخصوصا مجلس الأمن الدولي. كما تأوي عديد المؤسّسات الدوليّة الأخرى مثل برنامج الأمم المتّحدة للتنمية الذي يرسم ملامح التنمية في العالم ويسهم في ضبط أهدافها. وعلاوة عن ذلك تجسّد بورصة نيويورك كأوّل بورصة عالميّة النفوذ النقديّ والمالي للولايات المتّحدة الأمريكيّة إذ تؤثر قيمة مؤشّراتها الماليّة مثل دوو جونس ونزداك في الساحات الماليّة العالميّة الأخرى وفي أسعار منتجات التكنولوجيا العالية وبعض المنتجات الخام [5].

أمّا واشنطن فيتجاوز نفوذها السياسيّ التراب الأمريكي ليشمل العالم بأسره بفضل احتضانها مقرّات القرار السياسي والعسكري مثل البيت الأبيض والكونغرس الأمريكي والبنتاغون، التي تحدّد الخيارات الجغراسياسيّة للولايات المتحدة. كما يتوطن بواشنطن مقرّا صندوق النقد الدولي والبنك العالمي المؤسّستين الماليتين اللّتين توجّهان السياسات الاقتصاديّة في العالم وتديران حركة العولمة بواسطة ما توفّرانه من قروض وما تفرضانه من شروط والتزامات على بلدان الجنوب خصوصا [7].

ويتّضح حينئذ أنّ المكانة التي تحظى بها الميغالوبوليس قطريّا وعالميّا لم تعد تتجسّد في قوّة صناعتها بقدر ما أصبحت ترتكز على اقتصاد خدميّ متطوّر يجعل منها نموذجا لما تشهده الولايات المتّحدة من تدرّج نحو المجتمع ما بعد صناعي.

III- مجرّة حضريّة تمتلك كلّ مقوّمات القوّة والنفوذ

تستند قوّة الميغالوبوليس الأمريكيّة ومكانتها العالميّة إلى ما تحظى به من مزايا جغرافيّة وبشريّة وتنظيميّة.

1– واجهة بحريّة نشيطة ومنفتحة على المجالين الوطني والخارجي

استفادت الميغالوبوليس من موقعها كواجهة بحريّة على المحيط الأطلنطي وامتلاكها واجهة بحريّة داخليّة تطلّ على البحيرات الكبرى غربا وهو ما جعلها بوّابة الولايات المتّحدة التي استفادت من علاقاتها

بأوروبا. فقد يسّر تعدّد الخلجان والأجوان على طول الساحل الأطلنطيّ نشأة عدّة موانئ كانت النواتات الأولى لأكبر مدن الميغالوبوليس ونقاط انطلاق تعمير البلاد [8 و9].

وعلاوة عن دورها في تأمين حركة المساحلة فإنّ هذه الموانئ تضمن انفتاح الميغالوبوليس على الخارج وارتباط الولايات المتّحدة بالاتحاد الأوروبيّ أكبر الأطراف التجاريّة التي يتعامل معها [10]. وتتعزّز البنية التحتيّة للميغالوبوليس بمجموعة من المطارات الدوليّة تبرز ضمنها مدينة نيويورك بمطاراتها الثلاثة كمطار محوريّ وطنيّ وعالميّ [11 و12].

أمّا شبكة الطرقات والخطوط الحديديّة فقد ضمنت لهذا الإقليم الاستفادة من عمليّة إحياء التراب الأمريكي وإدماج أجزائه الوسطى والغربيّة، ولا تزال تؤمّن ارتباطه بظهيره الممتدّ إلى البحيرات الكبرى غربا وبباقي المجال. وعلاوة عن هذه الأسس طوّرت مدن الميغالوبوليس تجهيزاتها الثقافيّة والترفيهيّة فأضحت قبلة ملايين السيّاح من داخل البلاد ومن خارجها.

2 – رصيد بشريّ ثريّ تغذيه الهجرة الوافدة

يمثّل الرصيد البشريّ أحد مقوّمات قوّة الميغالوبوليس. فقد احتضنت ولاياتها المهاجرين الأوائل الذين قدموا من أوروبا منذ القرن السابع عشر وساعدت روحهم الرياديّة على إنشاء أغلب مدن الميغالوبوليس وتطوير الأنشطة التجاريّة ثمّ الصناعيّة وعلى تأسيس الولايات التي مثّلت النواة الأولى للولايات المتّحدة الأمريكيّة ومنطلق حركة تعمير الوسط والغرب الأمريكيّين [8 و9].

وقد حافظت ولايات الميغالوبوليس ومدنها كما في الماضي على جاذبيّتها للمهاجرين الوافدين من الخارج إذ أمّها قرابة مليون ونصف مهاجر بين 2000 و2005. وعلاوة على ما تضمنه هذه الأدفاق من إثراء ثقافيّ وما توفّره من كفاءات وسواعد لاقتصاد الميغالوبوليس، فإنّها مكّنت من تغطية الحاصل الهجري الداخليّ السلبي وضمنت زيادة في الرصيد البشري فاقت المليون ساكن خلال تلك الفترة. ويتميّز سكان الميغالوبوليس فضلا عن مزايا عددهم وارتفاع نسبة تحضّرهم، بناتج داخليّ خام للفرد يفوق المعدّل الوطني ويتراوح بين 36 ألف و55 ألف دولار في السنة وهو ما يوفّر سوقا استهلاكيّة هامّة لاقتصاد الإقليم.

3 – قدرة فائقة على التحوّل والتجديد

تستمدّ الميغالوبوليس جانبا كبيرا من قوّتها من قدرة اقتصادها وحواضرها على التحوّل والتجديد [12]. فقد توفّقت مدنها في تجاوز أزمة صناعات الجيل الأوّل التي شهدتها، بفضل تطوير أنشطة صناعيّة بديلة أكثر حيويّة أضحت توفّر الجزء الأكبر من القيمة المضافة الصناعيّة. وقد مكّن تطوير أنشطة التكنولوجيا العالية الميغالوبوليس من تبوّء المرتبة الثانية بعد ولاية كاليفورنيا في هذا الميدان. فعلاوة عن الطريق 128 [13] ببسطن ثاني قطب تكنولوجيّ بعد سيليكون فالي، طوّرت مدن الميغالوبوليس الأخرى فروعا من صناعات التكنولوجيا العالية. وقد استفادت أنشطة التجديد من وجود جامعات من أهمّها هارفارد بكامبردج وكولمبيا ويال وستانفورد بنيويورك ومعاهد بحث مثل معهد ماساشوساتس للتكنولوجيا، تعدّ جميعها من أشهر الجامعات والمعاهد في العالم تستأثر بقرابة خمس براءات الاختراع الوطنيّة ويحصُل العديد من خرّيجيها على جوائز نوبل في العلوم.

الخاتمـــة

تظلّ الميغالوبوليس المركز الاقتصاديّ للولايات المتّحدة رغم منافسة المجرّات الحضريّة الناشئة بالغرب الأمريكي، كما تجسّد قوّة اقتصاد البلاد ونفوذها العالميّ وتعدّ أبرز مركز محرّك للاقتصاد العالمي رغم تنامي مكانة الميغالوبوليس الأوروبيّة والميغالوبوليس اليابانيّة.